البديع في شعر الإمام علي بن الحسين عليه السلام وجهاده العلمي

المدرس
حوراء كاظم جواد الخزاعي
جامعة كربلاء ـ كلية العلوم الإسلامية
kariscimsg1@gmail.com

المقدمة:

باسم الله أفتتح كلامي وأطلق لساني والصلاة والسلام على نبيه الهادي وعلى آل بيته أغصان الدوحة النبوية وفروع الشجرة العلوية وعلى مولاي زين العابدين وأكرم الساجدين، الذي عدَّ بمواقفه الرائعة التي لم يعرف لها الثائرون مثيلا في دنيا الشجاعة والبطولة وخطاباته القيمة السبيل لأيقاظ ضمائر الأمة، فقد عالج بصورة موضوعية وشاملة القضايا التربوية والأخلاقية، وبحوثه من أنفس البحوث وأدقها ونظرا لسمو شخصيته في نفوس المسلمين فقد سارعت الكثير من الفرق الإسلامية بالقول أنه منها، ومنهم المعتزلة التي تعد من أكثر الفرق الإسلامية تخصصا في مجال البحوث الكلامية. وقد ارتأيت أن أخوض تجربة حية في جمال أسلوبه وترف كلمته وسعة خياله وعمق إحساسه بحيث نشعر بحركية التأريخ في كل سلبياته وايجابياته وصرخاته في جميع مشاكل المجتمع وقضاياه في حربه وسلمه فتناولت ما ورد من محسنات لفظية ومعنوية؛ لأنَّ من شأن هذا الفن تحسين أوجه الكلام وتزويقه وإظهاره بحلية جديدة، وقد أثبت أبن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ بالشواهد أنَّ هذه الظاهرة قد ترسخت في التراث العربي شعراً جاهلياً، وقرآناً كريماً، وخطباً للرسول والصحابة، وأشعار الشعراء في الأزمان التي سبقت أيام بشار بن برد ومن والاه في مسلكه الشعري. منصباً اهتمامه في تقسيم أبواب محاسن الكلام والاستشهاد لها في كتابه (البديع)، فهو يتحدث عن الاستعارة والطباق والجناس والاعتراض وغيرها مما يتصل بالصنعة الشعرية، والصياغة الفنية؛ ولكنه لم يستطع أن يحدد العلاقة بين الصورة الشعرية والتعبير الشعري فهل هي علاقة الجزء بالكل؟ أم علاقة الشيء المتفرد بقيمته؟

فأدبه ليس تملقاً لجمال ولا أدعاء وإنما هو صرخات تنطلق من عقل عبقري يفيض بعاطفة صادقة تظهر بين سطوره، وتتجسد في معانيه حرقة القلوب لا صراحة العقول،

ويذوب في محراب كبرياء النفوس لا مسائل العلوم، ويشع في جوانبه وميض الأمل ونار الألم، وصرخة الخوف وحجة التحدي، فيدخل القلب بلا استئذان ومن غير أن يطرق باب العقول.

وعلى الرغم من أنه لم يقل من الشعر إلاَّ القليل مقارنة بخطبه النثرية؛ ألاَّ أنَّ ظاهرة التفريط في فنون البديع ومحاسنه شاعت بين ثنايا شعره دون إكراه أو تكلف.

وعليه أستجليت هذه الفنون البديعية في شعره حصراً مقسمة بحثي إلى مبحثين يسبقها التمهيد الذي تحدثتُ فيه عن الأمام علي بن الحسين عليه السلام وليدا تربى في كنف بيت الرسالة،وأهم الظروف التي واجهتهُ.

التمهيد:

(الأمام علي بن الحسين عليه السلام ولادته ونسبه)

أحمد الله الذي هيأ لي دراسة علي بن الحسين عليه السلام، فتفرغتُ لذلك برهةً وألزمتُ نفسي التنقيب عن حقيقة قد تضيع بين أستار ظلمات التأريخ، مستوفيةً الصدق أبداً وممحصةً في ما قال أو قيل عنهُ، وقد نشأ الأمام علي بن الحسين عليه السلام في أرفع بيت وهو بيت النبوة والإمامة كما ورد في قوله تعالى ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[١] وهو علي ابن الحسين بن علي تعهده جده علي بن أبي طالب منذ ولادته بالرعاية.

وقد ولد الأمام زين العابدين عليه السلام في المدينة في اليوم الخامس من شعبان سنة (٣٦هـ)[٢].

وأمه شهربانو أو (شاه زنان) بنت يزدجر آخر ملوك الفرس، وقد توفاها الله في نِفاسها فلم تلد غيره[٣].

وقد عرف بألقاب عدة تمثل تجسيدا لشخصه الكريم عليه السلام ومنها (ذو الثفنات، وسيد العابدين، وقدوة الزاهدين، وسيد المتقين، وأمام المؤمنين، الأمين، السجاد، الزكي، زين الصالحين، منار القانتين، العدل، إمام الأمة، البكاء) وقد أشتهر بلقبي (السجاد، وزين العابدين) أكثر من غيرهما[٤].

وذكر عن الأمام أبي جعفر الباقر أنه قال: "كان لأبي في مواضع سجوده أثار ناتئة، وكان يقطعها في السنة مرتين، في كل مرة خمس ثفنات فسمي ذا الثفنات لذلك"(٥).

كما ورد قوله عن كثرة سجود أبيه "أن أبي علي بن الحسين عليه السلام ما ذكر نعمة الله عليه ألاَّ وسجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عز وجل وفيها سجود ألا سجد ولا دفع الله تعالى عنه سوءاً يخشاه أو كيد كائد إلاَّ سجد ولا فرغ من صلاة مفروضة إلاَّ سجد ولا وفق لإصلاح بين أثنين ألاَّ سجد وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده فسمي بالسجَّاد لذلك"(٦).

ويمكن لنا أن نشطر حياته إلى ثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى / وهي المرحلة التي سبقت إمامته والتي أنعم فيها بضلال والده وجده الأمام علي بن أبي طالب عليه السلام وعمه الأمام الحسن المجتبى عليه السلام حتى نجد أبو الأسود الدوءلي يصفه بقوله:

وغلامـــاً بـــين كســـرى وهاشـــم ... لأكـرم مـن أن يـنطن عليـهِ التمـائمُ(٧)

ولا تخلو هذه الفترة التي يمكن حصرها بين سنة ٤١هـ وسنة ٦٠هـ بتشديد القهر والقمع على أتباع أهل البيت عليهم السلام في العراق وتفشي البدع وكثرة النزاعات والتناحرات بين الطوائف الإسلامية وقد زادت هذه الضر وف تأزما مما دفع بالإمام الحسين عليه السلام بالتوجه نحو كربلاء، والأمام زين العابدين يرافق والده في ضل تلك الظروف العصيبة حتى وصلوا إلى العراق لتبدأ مرحلة جهادية جديدة من حياة السجاد عليه السلام وهي

ثانياً / مرحلة جهاده وهو يرى والده الإمام الحسين عليه السلام صريعا على رمضاء كربلاء وأهل بيته يساقون سبايا من بلد إلى بلد تلفح وجوههم حرارة الشمس الحارقة، حتى يقال له: أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فيقول عليه السلام: "أن يعقوب النبي كان له أثنا عشر أبنا فغيب الله واحدا منهم فابيضت عيناه من كثرة بكاءه عليه وأحدودب ظهره من الغم، وكان أبنهُ حيا في الدنيا، وأنا نظرتُ إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني"(٨).

المرحلة الثالثة / وتتمثل بتقلده الإمامة بعد استشهاد والده وهي مرحلة مهمة في حياة الأمام والأمة الإسلامية؛ لأنه عليه السلام عُدّ أحد وأهم العوامل في تخليد الثورة الحسينية والكشف

عن زيف أعدائهم ومما زاد من أهمية هذه المرحلة دوره الفاعل في أيقاظ الجماهير المنخدعة بالتضليل الإعلامي، ومعالجته الموضوعية والشاملة للقضايا التربوية والأخلاقية لذا عُدت بحوثه من أنفس البحوث الإسلامية وأدقها، ونظرا لسمو شخصيته العظيمة فقد سارعت الكثير من الفرق الإسلامية بالقول أنهُ عليه السلام منها ومنهم المعتزلة هذه الفرقة التي تعد اكثر الفرق تخصصا في مجال البحوث الكلامية [٩]،فأستطاع عليه السلام من حماية الإسلام من خلال ممارسة دوره السياسي، وإرساء القيم المعنوية والرسالية في الأمة وترسيخ الوجود الفكري والشعبي لأهل البيت من خلال ما تركه من مؤلفات نفيسة في المكتبة العربية، وأجمل ما فيها هي (رسالة الحقوق) والتي تتضمن الحقوق المترتبة على المسلم وهي خمسون حقا[١٠].

المبحث الأول

البديع لغةً واصطلاحاً

البديع لغةً: بدع الشيء يبدعهُ بدعاً، وأبتدعهُ أنشأهُ وبدأهُ.... والبديع: الشيء الذي يكون أولاً.... والبديع: المحدث العجيب. وأبدعتُ الشيء اخترعت لا على مثال[١١].

وجاء في قوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [١٢] أي خالقهن على غير مثال.

وللخطيب القز ويني المتوفى سنة ٧٣٤هـ تعريفان يكادان يكونان تعريفاً واحداً، يقول في أولهما: "هو علمٌ يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة"[١٣] وفي ثانيهما "هو علمٌ يُعرف بهِ وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال، ووضوح الدلالة"[١٤].

وبعد أن شاع البديع في شعر الأقدمين وخطبهم نهض أبن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦هـ بجمع ضروبه في كتاب حمل أسم (البديع) فكان أول من أفردهُ بدراسة مستقلة.

وقد أفرد الخطيب القز ويني الباب الثالث من كتابه الإيضاح في علوم البلاغة لعلم البديع وفنونه، والتي تتضمن المحسنات المعنوية كالمطابقة والمقابلة ومراعاة النظير والاستطراد والتورية واللف والنشر، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والذم بما يشبه المدح، وتجاهل العارف، أما المحسنات اللفظية كالجناس، والسجع، ورد العجز على الصدر، والموازنة، والقلب ولزوم ما لا يلزم... الخ، وهو التبويب الَّذي انتهى إليه الخطيب القزويني إلى يومنا هذا

وأستقرَّ عليه الدرس البديعي[١٥].

البديع في شعر الأمام علي الحسين عليه السلام:

ويذكر مقطوعة في قافية الألف يقول فيها:

نحن بنو المصطفى ذو غصص ... يجرعها في الأنام كاظمنا

عظيمة في الأنام محنتنا ... أولنا مبتلى وأخرنا

يفرح هذا الورى بعيدهم ... ونحن أعيادنا مأتمنا[١٦]

وهنا ذكَّر عليه السلام بمظلومية آل البيت منذ زمن جده الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وما لاقاه من أذى وعناء في سبيل نشر راية الإسلام في قوله (أولنا مبتلى وأخرنا)وهذه إشارة إلى عظيم الجزاء؛ لان شدة الابتلاء تعظيم للنفس وتنقية لها من الأوزار فما بالك بالمعصومين؟

ويأتي من جديد في أخر بيت بالمقطوعة بأن عظيم بلاءهم جعل من أعيادهم مآتما لنلتقي بطباق جديد وهو "الجمع بين الضدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة"[١٧].

أما الفن ألآخر وهو من المحسنات اللفظية وهو (لزوم ما لا يلزم)وكما عرفه الخطيب القزويني "أن يجئ قبل حرف الروي وما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع"[١٨].

كما في قوله عليه السلام في مقطوعة لطيفة أجتمع فيها أكثر من فنٍ بديعي:

أنَّ الزمان الذي قد كان يضحكنا ... بقربهمُ صار بالتفريق يبكينا

حالت لفقدهم أيامنا فغدت ... سوداً وكانت بهم بيضا لياليا

فهل ترى الدار بعد البعد آنسةً ... أم هل يعود كما قد كان نادينا[١٩]

ويتضح هذا الفن في لفظتي (يضحكنا - يبكينا)فيبدو أن الشاعر ألزم نفسهُ بأكثر من حرف في نهاية الشطرين وهما (الألف - النون-) حركتان وهي (الفتح - السكون)وقد تكون الألف وحدها كافية لاستقامة الوزن والقافية، وهذا الفن هو ضربٌ من السجع وان وقع في الشعر ولجأ أليه الشعراء؛ فهذا عن دليل على قوة شاعريتهم وتمكُّنهم من اللغة والعروض.

ويراودنا من جديد(فن الطباق) في نفس اللفظتين المذكورتين آنفا، وكذلك اللفظتان (سوداً - بيضاً) في البيت الثاني، وهنا يجسد عليه السلام التباعد المؤلم بينه وبين ماضيه الذي

أضحى هو السائد بعد القرب، فنجد الشاعر أستخدم ألفاظا جزلة في التعبير عن طول البعد وشدة الحنين، إذ أستخدم ألفاظ ذات حروف ممدودة يمتد فيها النفس؛ ليعبر عن ألمه وحنينه المفرط وهو يستعين بصورة لونية في بيته الثاني ليجسد الفارق بين البياض والتفاؤل وبين السواد وما يولده من حزن واكتئاب، وهذه القصيدة لأنسيابيتها وجمال جرس حروفها، نجد تأثر الشاعر أبن زيدون واضحا بها في قصيدته المشهورة:

أضحى التنائي بديلا عن تدانينا ... ونـاب طيب لقيانا تجافينا

أن الزمان الذي ما زال يضحكنا ... أنسا بقربهمُ قد عاد يبكينا

حالت لفقدكم أيامنا فغدت ... سوداً وكانت بكم بيضاً لياليناً[٢٠]

ولقصيدته نصيبٌ من فن المقابلة في قوله عليه السلام:

تخرب ما يبقى وتعمر فانياً ... فلا ذاك موفورٌ ولا ذاك عامرُ[٢١]

والمقابلة كما أوردها الخطيب القز ويني "هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثمَّ بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب"[٢٢].

فهي تكون بين الأضداد وغير الأضداد، كما وردت في الموضع السابق في مقابلة التخريب والأعمار، والبقاء والفناء. فقد أقرَّ علماء البديع على أنَّ أعلى رتب المقابلة وأبلغها ما كثر فيهِ عدد المقابلات ؛ ولكن شريطة الابتعاد عن التكلف والإسراف.

وقال عليه السلام:

لنحن على الحوض روَّادهُ ... نذودُ ونسقي ورَّادهُ[٢٣]

فهذا الاتفاق بين الضرب والعروض(رواده، وراده) في الوزن وحرف القافية هو ما يُطلق عليهِ (التصريع) الَّذي يهيئ للكلام نوعاً من الانسجام الموسيقي، وضرباً من التوازن والنغم، إذ يقول قدامه بن جعفر " إنما يستحسن التصريع في البدء؛ لأنه أوقع في الأذن، وأجمع في النغم، وأظهر للموسيقى، وفيهِ إشعار بأنَّ القائل آخذ في كلام موزون غير منثور"[٢٤].

ولا يخفى ما بين اللفظتين من علاقة مجانسة وهو ما نطلق عليه (الجناس الغير تام) (الناقص)؛ لوجود تقديم وتأخير في ترتيب الحروف.

وترى الدكتورة سناء ألبياتي "أنَّ الجناس ضربٌ من ضروب التكرار المؤكد للنغم من خلال التشابه في تركيب الألفاظ، وهذا التشابه في الجرس يدفع الذهن إلى ألتماس معنى تنصرف أليهِ اللفظتان"(٢٥) ويبدو تمكُّن الناظم من فنون البديع وموهبته الفائقة في أيراد أكثر من فن أو لون بديعي في موضع واحد ودون إسهاب أو تكلف.

ولهُ من قصيدة أخرى للتذكير والوعظ قوله:

فعالك هذا غرةٌ وجهالةٌ ... وتحسب يا ذا الجهل أنك حاذقُ

تضنُّ بجهلٍ منك أنك راتقُ ... وجهلك بالعقبى لدينك فاتقُ(٢٦)

فلفظتي (جهالةٌ - الجهلُ) اللتان وردتا في صدر البيت وعجزه هو فنٌ بديعي يطلق عليهِ (رد العجز على الصدر) وهو " أن يكون أحد اللفظين في أخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني"(٢٧).

ومن جديد نجد تكرارا لنفس اللفظة وهي (الجهل) في البيت الذي يعقبه وهذا التكرار في اللفظ لهُ أثرهُ الإيقاعي في الأسماع والنفوس مما يسهم في زيادة الإيضاح والتمييز .

أما فن الاقتباس فكثيرا ما يراودنا في شعره عليه السلام سواء من القرآن الكريم أم من أحاديث جده رسول الله محمد صلى الله عليه وآله كما في قوله:

وقول رسول الله والحق قوله ... فأنَّ علياً شرفتهُ المناقبُ

بأنك مني يا علي معالناً ... كهارون من موسى أخٌ لي وصاحبُ(٢٨)

وقد كان في نظمه هذا شديد التأثر بما رواه البخاري في صحيحهِ بسنده عن سعد في قوله صلى الله عليه وآله لعلي "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى"(٢٩).

وقوله عليه السلام:

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقمِ (٣٠)

ويظهر اقتباسه واضحاً من قوله تعلى ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾"(٣١).

وهذا التلاؤم الصوتي بين شطري البيت يشكل مع الدلالة المعنوية عنصري الجمال

والذوق، اللذان امتازت بهما اللغة العربية، فهي "لغة تُعنى بالناحية الجمالية والذوقية؛ ولهذا لم تفقد علوم البديع قيمتها، ما دامت هذهِ الفنون وسيلة من وسائل الجمال والتأثير في النفوس"(٣٢).

المبحث الثاني

جهاده عليه السلام العلمي والتربوي

وتمثل جهاده عليه السلام الحقيقي بعد استشهاد والده الأمام الحسين عليه السلام؛ وذلك بتقلده الإمامة إذ شهد المسجد النبوي ودار الإمامة طوال فترة إمامته وهي خمسةٌ وثلاثين عاماً نشاطاً فكرياً مميزاً في جميع صنوف المعرفة العلمية والأدبية، وعندما نذكر جهاده المعرفي فهو بحق جهاد كبير وخاصة بعد استشهاد الأمام الحسين وتشتت قوى الشيعة، فكان الشيء الأول الذي يقع على عاتقه عليه السلام هو استجماع القوى ولمِ الشتات والتسلح بالسلاح المعرفي؛ ذلك أنَّ الفكر السليم يعد أحد مقومات كل حركة سياسية صحيحة، فأول ما قام به هو الأمر برواية الحديث والدعوة إلى تطبيق السنة، كما جاء في قوله عليه السلام:

"أنّ أفضل الأعمال ما عمل بالسنّة وأن قلْ"(٣٣).

وكان عليه السلام يسعى إلى تمجيد القرآن والعمل بهِ فهو دستور الله في الأرض حتى قال عليه السلام:

"لو مات ما بين المشرق والمغرب ما استوحشتُ بعد أنْ يكون القرآن معي"(٣٤).

وقد أعلن عن إمامته رغم ما كان يعانيه من ضعف البدن بشجاعة دون أي سرية أو تكتم ليتسلم المهام الأصعب وهذا جليٌ في قوله عليه السلام:

"نحن أئمة المسلمين وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين وقادة الغر المحجلين، وموالي المؤمنين، ونحن أمان أهل الأرض، كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء.."(٣٥).

وقد بين سبط رسول الله أحقية آل بيت الرسول بالعلم والتقليد من قبل أبناء الأمة ويتضح ذلك من جوابه، حينما سأله إبراهيم بن طلحة بن عبد الله: من الغالب؟ أي بعد واقعة ألطف فأجاب عليه السلام: **"أذا دخل وقت الصلاة فأذّن وأقِم تعرف الغالب"**(٣٦).

وهذا ما آلت أليه الثورة الحسينية في توجيه السلوك والفكر لتتضح خسة الأمويين ودناءتهم.

أدب الدعاء عند الأمام زين العابدين

لقد ترك لنا الأمام السجاد تراثا ثراً ومتميزاً بسمات خاصة وفي مقدمة ذلك النتاج (أدب الدعاء)إذ أتجه في أدبه هذا إلى نقد الأوضاع المنحرفة وبناء العقلية السليمة القائمة على الفطرة السليمة وهي فطرة الإسلام، وبالتالي بناء الشخصية الإسلامية على المستويين الفردي والاجتماعي

وجاء في الصحيفة السجادية نقلاً عن الأصمعي قال "كنتُ أطوف حول الكعبة ليلةً فإذا شاب ظريف الشمائل وعليه ذؤابتان وهو متعلق بأستار الكعبة ويقول " نامت العيون وغارت النجوم وأنت الملك الحي القيوم غلّقت الملوك أبوابها وأقامت عليها حراسها، وبابك مفتوح للسائلين جئتك لتنظر إلي برحمتك يا أرحم الراحمين "وأنشأ يقول

يا من يجيب دعاء المضطر في الظُلمِ ... يا كاشف الضر والبلوى مع السقمِ

قد نام وفدك حول البيت قاطبةً ... وأنت وحدك يا قيوم لم تنمِ

أدعوك ربِّ دعاءً قد أمرت به ... فأرحم بكائي بحق البيت والحرمِ

أن كان عفوك لا يرجوهُ ذو سرفٍ ... فمن يجودُ على العاصين بالنعمِ

قال: فاقتفيته فإذا هو زين العابدين عليه السلام(٣٧).

اجتمعت في هذه المقطوعة الأنفة الذكر الكثير من فنون البديع كالتصريع والجناس والطباق، ويذكر طاووس اليماني أنهُ قال: رأيتُ في جوف الليل رجلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهو يقول:

ألا يا أيها المأمول في كل حاجةٍ ... شكوتُ أليك الضر فأسمع شكايتي

ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي ... فهب لي ذنوبي كلها وأقضِ حاجتي

فزادي قليلٌ ما أراهُ مبلِّغي ... أللزاد أبكي أم لبعد مسافتي

أتيتُ بأعمالٍ قباح رديةٍ ... فما في الورى خلقٌ جنى كجنايتي

أتحرقني في النار يا غاية المنى ... فأين رجائي منك أين مخافتي

قال فتأملتهُ فإذا هو علي بن الحسين عليه السلام(٣٨).

فحتى في خلواته وهو يناجي خالقه يفيض فاهُ بالكلمات العذبة الجزلة والعبارات ذات الجرس الرنان الذي يطرق القلوب قبل الأسماع وكثيرا ما يراودنا التكرار في الألفاظ

والعبارات، ذلك أنه أحد علامات الجمال البارزة، ومن الظواهر الأسلوبية التي تستخدم لفهم النص الأدبي، وهو مصطلح عربي كان له حضوره عند البلاغيين العرب القدامى، فتكرار اللفظ يفيد قوة في قرع الأسماع وإثارة الأذهان(٣٩).

الأمام زين الدين مدرسة تربوية:

لقد حمل الأمام السجاد مشعل القرآن والسنة كما ذكرنا مسبقاً؛ ذلك ما كانت تستدعيه الأحداث المتسارعة والتي قادت إلى الجمود العلمي لسيطرة فئات من علوج بني أمية على الحكم، فتضاعفت جهود الأمام زين العابدين وأسس مدرسة علمية فكرية تتكون من حلقات تأخذ بصنوف المعرفة، من أخلاق وحديث وتفسير وأدب وعقائد وخرجت هذه المدرسة شخصيات علمية وفقهية وعقائدية مما دفعه عليه السلام إلى القول في مجال العلم والتعلم مشيداً بفضلهما وثوابهما في قوله:

"لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوهُ ولو بسفك المهج، وخوض اللجج، أنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال أنّ أمقت عبيدي إليّ الجاهل المستخف بحق أهل العلم، التارك للاقتداء بهم، وأنّ أحق عبيدي إليّ التقي الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء التابع للحلماء القابل عن الحكماء"(٤٠).

وقال عليه السلام: **"أنّ طالب العلم أذا خرج من منزلهِ لم يضع رجلهُ على رطبٍ ولا يابس من الأرض ألا سبحت لهُ الأرضون السبع(٤١).**

وقد أكدَّ على عدم كتمان العلم وإتقان العلم وتأديته بأحسن وجه، وعدم ابتغاء الأجر المادي عليه؛ وهذا ما جاءت به رسالة الحقوق من الإشادة بفضل العالم وحقوقه من المتعلمين من التعظيم وحسن التوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، والتأدب في مجلسه وعدم رفع الصوت عليه.

الخاتمة:

وخيرُ ما أفتتح بهِ بحثي وأختتم هو الصلاة والسلام على خير مبعوثٍ دعا إلى خير معبودٍ وعلى آله الأطهار.

أما بعد فأنَّ غاية البديع بفنونه المتعددة هو التزويق والتنميق والإيضاح؛ ليكون النظم

أنفذ إلى النفوس منها إلى الأذهان، وقد وفق الأمام علي بن الحسين عليه السلام من توظيف هذه الفنون في قصائده، وخاصة أنهُ عاش في بيئة دينية، متشرِّباً لأفكار القرآن في كَنَف جدهِ النبي محمد صلى الله عليه وآله مضمناً تارة ومقتبساً أخرى.

وعلى الرغم من كونه خطيباً وفقيهاً وموعِّظاً لهُ من العلم ما يسندهُ في توجيه الدعوة وجهة صحيحة؛ إلاَّ أنَّ كونه شاعراً زادهُ من الفضل فضلاً، فهو يحسن لكلِّ مقامٍ مقال ولكل مقالٍ ختام. إذ قال عنهُ الزهري: "**ما رأيتُ هاشمياً أفضل من علي بن الحسين ولا أفقه منهُ**"(٤٢).

أما ما قيل بحقه من الشعر فهو الشيء الكثير والتي لا تتسع صفحاتي لحصرها تزيِّنها فنون بديعية رائعة، فهو غصنٌ من دوحة النبوة، وفرعٌ من شجرة الرسالة وعالم آل محمد؛ لذا تبارى الشعراء في مديحه عليه السلام.

ولابُدَّ من الإشارة إلى أني لم أكلف نفسي عَنتَ تشويه النصوص أو تحويرها أرصاداً لشهوة أو أرضاءً لغلة أمَّا كوني أصيب أو أخفق فهذا شأن الناس جميعاً، ولطالما حاولتُ جعل نفسي نكرة وخاصة فيما يتعلق بمذهب الأمام علي بن الحسين عليه السلام وسياسته متناولة أشعارهُ بقلمٍ متواضع لا تشوبه الميول ولا تعترضه النزعات.

هوامش البحث

(١) سورة النور: أية ٣٦- ٣٧

(٢) الإرشاد، للشيخ المفيد محمد بن أحمد العكبري البغدادي، ج٢، ص١٣٧

(٣) ينظر سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأل بيته عليهم السلام، ج٢، ص١٨٩

(٤) أعلام الهداية للأمام الحسين والأمام علي بن الحسين عليهما السلام، المجمع العالمي لآهل البيت، ص٤٩

(٥) علل الشرائع، لمحمد بن علي بن الحسين بن بابويه ألقمي، ج ١، ص٢٣٣

- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، لمحمد باقر المجلسي، ج٦، ص٤٦

(٦) علل الشرائع، لمحمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ج ١، ص٢٧٢

(٧) الأمام علي بن الحسين (زين العابدين) نظام الدين وعز المسلمين وغيض المنافقين، فهد الفرطوسي، ص٨٨

(٨) بحار الأنوار، لمحمد باقر ألمجلسي، ج ٤٦، ص١٧١
(٩) ينظر موسوعة سيرة أهل البيت (الأمام زين العابدين)، باقر شريف القرشي، تحقيق: محمد باقر القرشي، ج ١٥، ص ١٣
(١٠) سيرة الأمام علي بن الحسين، تأليف: علي محمد علي، ص ٦٦
(١١) لسان العرب لأبن منظور مادة (بدع)
(١٢) سورة الأنعام،آية ١٠١
(١٣) التلخيص في علوم البلاغة،للخطيب القز ويني، ص٣٤٧
(١٤) الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القز ويني، ص٤٧٧
(١٥) علوم البلاغة (البدع والبيان والمعاني، د.أحمد محمد قاسم، ص ٦١-٦٢
(١٦) ديوان الأمام السجاد (علي بن الحسين)، تحقيق: ماجد بن أحمد العطية، ص ١٥
(١٧) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة المهندس، ص ١٣٠
(١٨) الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القز ويني، ص٥٥٣
(١٩) ديوان الأمام السجاد (علي بن الحسين)، تحقيق ماجد بن أحمد، ص٢٢
(٢٠) ديوان أبن زيدون، أحمد بن عبد الله المخزومي، المحقق: يوسف فرحات،ص٦٧
(٢١) ديوان الأمام السجاد (علي بن الحسين)، تحقيق ماجد بن أحمد، ص٤٣
(٢٢) الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القز ويني، ص٤٨٥
(٢٣) ديوان الأمام السجاد (علي بن الحسين)، تحقيق ماجد بن أحمد، ص٧١
(٢٤) نقد الشعر، قدامه بن جعفر، تحقيق وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي، ص ٨٧
- علم البديع، وليد إبراهيم قصاب، ص ١٥٣
(٢٥) ينظر منهج جديد في البلاغة والنقد، سناء ألبياتي، ص ١٩٤
(٢٦) ديوان الأمام السجاد (علي بن الحسين)، تحقيق ماجد بن أحمد، ص٦٠
(٢٧) علوم البلاغة (البدع والبيان والمعاني، د. أحمد محمد قاسم، محي الدين ديب ص ١٢١
(٢٨) ديوان الأمام السجاد (علي بن الحسين)، تحقيق ماجد بن أحمد، ص٢٥-٢٦
(٢٩) صحيح البخاري، ج ٥، ص٢٤
(٣٠) ديوان الأمام السجاد (علي بن الحسين)، تحقيق ماجد بن أحمد،ص٦٨
(٣١) سورة الأنبياء، آية ٨٧
(٣٢) أبن أبي الأصبع المصري بين علماء اللغة، حنفي محمد شرف، ط١،ز، ص٢٤
- البلاغة والمعنى تفسير أبو السعود، حامد عبد الهادي حسين، ص١٧٨
(٣٣) الكافي، لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، ج ١ ص٧.
(٣٤) الكافي، لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني،ج ٢، ص ٦٠٢
(٣٥) أمالي الصدوق (لأبي جعفر محمد بن علي المعروف بالصدوق، ص٢٥٣

(٣٦) حياة الأمام علي بن الحسين، ج٣، ص٣٤٠
(٣٧) الصحيفة السجادية، ص٥١٤
(٣٨) الصحيفة السجادية، ص٥١٤
(٣٩) الأمام المجتبى مهجة قلب المصطفى، أحمد الرحماني الهمداني، ص٥٨٩
- المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمد البيهقي، ص٦٨
(٤٠) أصول الكافي،ج١،ص٣٥
(٤١) حياة الأمام زين العابدين، ص٢٣
(٤٢) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ج ١٥، ص٣١٥
- الإرشاد، للشيخ المفيد محمد بن أحمد العكبري البغدادي، ج٢، ص٢٥٧

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم
٢- أبن أبي الأصبع المصري بين علماء البلاغة، حنفي محمد شرف، ط ١، ز، مطبعة نهضة مصر، د. ت.
٣- الإرشاد، الشيخ المفيد محمد بن محمد النعمان العكبري ت. ٤١٣هـ، ج٢، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت
٤- أصول الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني، ت ،.٣٢٨هـ
٥- أعلام الهداية، (الأمام الحسين والأمام علي بن الحسين زين العابدين)، المجمع العالمي لأهل البيت،ط٦، لجنة التأليف في المعا ونية الثقافية بيروت -لبنان،٢٠٠٩م
٦- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ج١٥، منشورات دار الفكر بيروت - لبنان، د.ت
٧- أمالي الصدوق، لأبي جعفر محمد بن علي الصدوق ت. ٣٨١،ط١، مؤسسة البعثة -قم
٨- الأمام علي بن الحسين (زين العابدين) نظام الدين وعز المسلمين وغيض المنافقين، فهد الفرطوسي،ط١، لبنان - بيروت، ١٤٢٩هـ
٩- الأمام المجتبى مهجة قلب المصطفى، أحمد الرحماني الهمداني،ط١، مطبعة أفست زنبق، المكتبة الوطنية الإيرانية، ١٤٢٦هـ
١٠- الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القز ويني، دار الكتاب اللبناني-بيروت،١٩٧١م
١١- بحار الأنوار، لمحمد باقر المجلسي، تحقيق. محمد مهدي خراسان،ج٤٦، دار الكتب الإسلامي، طهران، ١٣٨٦هـ

١٢- التلخيص في علوم البلاغة، للخطيب القز ويني، تحقيق البرقوقي، المكتبة التجارية بمصر،١٩٣٢م
١٣- البلاغة والمعنى تفسير أبو السعود، حامد عبد الهادي حسين، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
١٤- حياة الأمام زين العابدين (دراسة وتحليل)، للشيخ باقر القرشي
١٥- حياة الأمام علي بن الحسين عليه السلام، الدكتور جعفر الشهيدي ت. ١٤٢٩هـ،ج٣، المؤسسة الإسلامية للنشر
١٦- ديوان أبن زيدون، أحمد بن عبد الله المخزومي، المحقق: يوسف فرحات،ط٢، دار الكتاب العربي، ١٩٩٤م.
١٧- ديوان الأمام السجاد(علي بن الحسين)، تحقيق: ماجد بن أحمد،ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، ٢٠٠٢
١٨- سيرة الأمام علي بن الحسين، تأليف: علي محمد علي، ط١ دار المرتضى - بيروت،٢٠٠٤م
١٩- سيرة رسول الله وأهل بيته عليهم السلام،ج٢، ط١،المجمع العلمي لأهل البيت عليهم السلام، ١٤١٤هـ
٢٠- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري ت.٢٥٦هـ، دار الفكر للطباعة
٢١- الصحيفة السجادية، للأمام علي بن الحسين. ٩٤هـ، ط١، مؤسسة الأمام المهدي -قم،١٤١١هـ
٢٢- علل الشرائع، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه ألقمي.ت٣٨١هـ، المكتبة الحيدرية في النجف الأشراف، ١٣٨٥هـ
٢٣- علم البديع، وليد إبراهيم قصاب، دار الفكر - دمشق، ٢٠١٢م
٢٤- علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني، د. أحمد محمد قاسم، محي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس - لبنان، ٢٠٠٨م
٢٥- الكافي، لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني الرازي ت.٣٢٨هـ، ج٢-١، ط٥،دار الكتب الإسلامي - طهران،١٣٦٣ش
٢٦- لسان العرب، لأبن منظور مادة (بدع)، دار المعارف بمصر، د. ت
٢٧- المحاسن والمساوئ، إبراهيم محمد البيهقي، ط، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢٠هـ
٢٨- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، وهبة المهندس، مكتبة لبنان، ١٩٧٩م
٢٩- منهج جديد في البلاغة والنقد، سناء ألبياتي،ط١، منشورات جامعة قار يونس،١٩٩٨م
٣٠- موسوعة سيرة أهل البيت (الأمام زين العابدين)، باقر شريف القرشي، تحقيق: محمد باقر القرشي، ج١٥، ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر،٢٠٠٩م
٣١- نقد الشعر، قدامه بن جعفر، تحقيق وتعليق د. عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ت